قِصَّةُ إِسْلَامِ قِسِّيس

رِسَالةٌ منْ قسِّيس إلى الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

يروي له فيها عَنْ سببِ إسلامه المُتَمَثِّل

في رسالة للشيخ عبد الرزاق بعنوان: «أَسْبَابُ السَّعَادَة».

وَمَعَهَا

أَسْبَابُ الخَيْرِ وَالسَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ

للشيخ

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

اعتنى بهما وعلق عليهما

أبو عبد العزيز منير الظاهري

دار الفرقان

للنشر والتوزيع

دار الفرقان للنشر والتوزيع -١٤٣٨/٢٠١٦
ردمك : ٩٧٨-٩٩٣١-٦١٦-١٩-١
الإيداع القانوني: السداسي الثاني، ٢٠١٦
Dar Al-furquan Edition. 2016
ISBN: 978-9931-616-19-1
Dépôt Légal: 2eme semestre. 2016

حُقُوقُ الطَّبعِ مَحفُوظَة

الطبعة الأولى
١٤٣٨ هـ – ٢٠١٦ م

دار الفرقان للنشر والتوزيع

المقر التجاري: ٢٠ شارع أحمد حسينة
باب الوادي – بجوار مسجد السنة - الجزائر
جوال: ٠٠ ٢١٣ (٠) ٥٥٦ ٩٦ ٥٨ ١٠
dar.alfurquan@gmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله الرَّبِّ الكَرِيم، الَّذي رَبَّى جَمِيع العَالَمِين بنِعَمه، الإِلهِ العَظِيمِ الَّذِي خَضَعتْ الأكوانُ لِعَظَمَتِه.

وأَشْهدُ أَنْ لَا إِلَه إِلَّا الله المُتَفرِّد بِوَحْدَانِيَّته.

وأَشْهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عبدُه ورسولُه المختار مِنْ بريَّته.

اللَّهُم صَلِّ وسلِّم عَلى محمَّد، وعلى آله وأصحابه، ومَنْ أيَّدته بِنُصْرته.

أَمَّا بَعْدُ:

فإنَّ دينَ الإسلام هُوَ أكملُ الأَدْيان وأَفْضَلُها، وأَتمُّها وأَجْمَلُها وأَجَلُّها وأَكْمَلُها، أَعْلَاها فخرًا، وَأَعْظَمُها قدرًا.

جَاء بأعظم الأَدْيان خيرُ ولد عدنان مُحَمَّد بن عبد الله

ﷺ، وكانتْ مُعْجِزتُه المُعْجِزة الخالدة وهي القرآن الكريم، وبُعث إلى خير أمَّة أُخرجتْ للنَّاس.

فأكمل الله به الملَّة وأتمَّ به النِّعمة، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [سُورَةُ :٣].

فـ ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ :١٩]، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ :٨٥].

جعلَ الله تعالى لِهَذه الشَّريعة الإسلاميَّة مَحَاسنَ ومَزَايا لَمْ تَكنْ في الشَّرَائع الَّتِي قَبْلها مَعَ فضْلِها، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ

عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ [سُورَةُ الأَعْرَافِ].

قال شيخُ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَفِي شَرِيعَتِه [ﷺ] مِنَ اللِّينِ وَالعَفْوِ وَالصَّفْحِ وَمَكَارِمِ الأَخْلَاق أَعْظَم مِمَّا فِي الإِنْجِيل، وَفِيهَا مِنَ الشِّدَة وَالجِهَاد وَإِقَامَةِ الحُدُودِ عَلَى الكفَّار وَالمُنَافقين أعظم مِمَّا في التَّوْرَاة، وَهَذَا هُوَ غَايَةُ الكَمَال، وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُهُم: بُعِثُ مُوسَى بِالجَلَال، وبُعِثُ عِيسَى بِالجَمَال، وبُعِثُ مُحَمَّدٌ بِالكَمَال»[1].

فَكَيْفَ بَعْدَمَا بُدِّلتْ وحُرِّفتْ وانْحَرَفَتْ؟!

---

(١) «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٦/ ٨٦).

هَذَا مِمَّا جَعَل بَعْضَ العُقَلاء يُجذبون إِلَى الإسلام جَذْبًا لِفِطْرَتِهم السَّليمة، فَقَدْ وَجَدُوا فِيهِ مَا لَمْ يَجِدُوه ويُحَصِّلوه في الدِّيَانَات المُحَرَّفة وَالعَقَائِد المُنْحَرِفَة: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [سُورَةُ يُونُسَ].

بَلَ وَصَلَ الحالُ بِبَعْضِهِم مِمَّن قَضَى سَحَابَة عُمره فِي الدَّعوة إِلَى التَّنْصِير، والتَّحذير مِنَ الإسلام أَنْ يعتنقَ الإسلام.

قال العلَّامة عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَجْذِبُ الإِسْلَام الكُبَرَاء وَالعُقَلَاء مِنْ أَبْنَاء النَّصْرَانِيَّة بِدُون دِعَايَة وَلَا تَبْشِير.

بَيْنَمَا تَسْعَى النَّصْرَانِيَّة بِكُلِّ جُهْدِهَا تَنْصِير المُسْلِمين، فَلَا تَظْفَر إِلَّا بِالعَدَدِ النَّزر مِنَ الصِّغار الضُّعفاء الَّذِيَن يَرْكُنُون لِدِعَايَتِهَا عِنْدَ الحَاجَة، وَيَتْرُكُونَها عِنْدَ الاسْتِغْنَاء»[٢].

وَفِي هَذِه الوُرَيْقَات مِثَالٌ حيٌّ لِأَحَد القَسَاوِسَةِ عَاشَ أَكْثَر مِنْ ٣٠ سنة فِي ظَلَامٍ قَاتِم تَحْتَ ظِلِّ التَّنصِير حَتَّى مَنَّ الله عَلَيْهِ بِالهِدَاية بِأَنْ شَرَحَ الله صَدْرَه للإسلام ليجدَ السَّعَادَة وَالاطْمِئْنَان، وَالسَّكِينَة وَالأَمَان الَّتِي ظلَّ جاهدًا يبحثُ عَنْها وَلَكِنَّه لَمْ يَجِدْهَا إِلَّا وَهُوَ مُسْلِم.

إِنَّها قصَّةٌ زَخَرَتْ بِالدُّروس المُسْتَفَادة مِنْ تَجْرِبَة هَذَا الرَّجُل الَّتي خَاضَهَا ثُمَّ سَطَّرَهَا بِمِدَاد الحُبِّ وَالصِّدق وَالنُّصْح، وَهُوَ لَا يَرْجُو بِذَلِكَ نَفْعًا لِأَنَّه كَتَبَهَا وَهُوَ عَلَى

(٢) «الآثار» (٥/ ٦٠).

فِرَاشِ المَوْت.

فَهَيَّا بِنَا إِخْوَاني في الله نقرأها ونتأمَّلها لِنَسْتَفِيد مِنْ تَجْرِبَة هَذَا الرَّجُل، وَنَكْتَشِفَ حَقَائِقَ قَدْ غَابَت وغُيِّبَت عن الكَثِير مِنَّا.

كَمَا لَا يَفُوتُنِي أَنْ أَتَقَدَّم بِالشُّكْرِ الجَزِيل لِأَحَدِ أَبْنَاءِ شَيْخِنَا **عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر** حفظه الله الَّذِي أَهْدَى لي هذه الرِّسَالَة مُتَرْجَمةً إِلَى اللُّغة العربيَّة مِنَ القسِّيس إِلَى الشيخ عَبد الرَّزاق.

وقد أَضَفتُ خُطْبَة جمعة لشيخنا عبد الرزاق بعنوان: «**أَسْبَابُ الخَيْرِ وَالسَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**»، إتمامًا للفَائِدَة ولِمَا وَجَدْتُ مِنْ عَلَاقة وَثِيقَة بَيْنَ مَوْضُوعِهَا وَمَوْضُوع الرِّسَالَة، والله الموفَّق.

فَـ «الحمدُ لله ثُمَّ الحمدُ لله تَعالى الَّذِي هَدَانا للإِسْلام وَمَا كُنَّا لِنَهْتدي لَوْلَا أَنْ هَدَانا الله.

يَا ذَا الجَلال والإكرام كَمَا هَدَيْتَنا للإسلام أَسْأَلكَ أَنْ لَا تَنْزَعه عَنَّا حَتَّى تَتوفَّانا عَلَى الإِسْلَام»[٣].

مُحِبُّكُم فِي الله
أبو عبد العزيز منير الجزائري
abou-abdelaziz@hotmail.fr

(٣) «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان» (ص٥٢٢).

نَصُّ الرِّسَالَة

بسم الله الرحمن الرحيم

مِنْ عبد الرَّحمن الإسلاميّ إلى الشَّيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله.

السَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

إِلَى الَّذي أحببتُه في الله السيد الشيخ عبد الرَّزاق بارك الله فيكم.

فإنِّي أعرِّفُ نفسي إليكم، اسمي رَابِرط تَنْهُو مَانْكولانج وتسمَّيتُ بعد إسلامي بـ **عبد الرَّحمن الإسلامي**، وأنا من قبيلة دَايَك في كاليمنتان، واعذرُوني على الإزعاج لوقتكم ومناشطكم بحضور هذه الرِّسالة.

أودُّ أن أَحكي لكم في هذه الرِّسالة قصَّة مُختصرةً عمَّا

جرى في حياتي كما سَأَذكرُ لكم أمنيتي فيمَا تَبَقَّى مِنْ عمري.

فَإِنِّي قد أسلمتُ في ١٥ ديسمبر عام ٢٠١١م، وَبداية معرفتي بالإسلام ودخولي فيه لأجل ما يجول في نفسي مِنْ شكٍّ في الدِّيانة الَّتي كنتُ أعتنقُها، ولي ٦ إخوة أشقَّاء كلٌّ واحد منهم يَدِينُ بغير دين أخيه، مِنْهم مَنْ يعتنقُ الدِّيانة الهندوسيَّة، ومنهم من يعتنقُ الدِّيانة الكاثوليكية، ومنهم من يعتنقُ الدِّيانة البروتستانتية، ومع ذلك لا أحد منهم يعتنقُ الإسلام، لأنَّا - كعائلة واحدة - **نزعمُ أنَّ دين الإسلام دينُ عُسْرٍ ومَشَقَّة**(٤).

---

(٤) هذه مِنَ التُّهم الَّتي وُجِّهتْ وتُوَجَّه لدين الإسلام، وكما قيل: «مَنْ جَهِلَ شَيْئًا عَادَاهُ»، فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي**

مِنْ حَرَجٍ ﴾ [سُورَةُ الْحَجِّ :٧٨]، وروى الإمام البخاري في «صحيحه» (٣٩)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ».

قال العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «فشريعة نبيِّنا عليه الصَّلاة والسَّلام أفضلها وأكملها وليس فيها آصار ولا أغلال قد وضع الله عَنْ هذا النَّبي وعَنْ أمَّتِه الآصار والأغلال فلله الحمد والمِنَّة شريعةٌ سَمْحة، كما قال في الحديث الصحيح: «بُعِثْتُ بِالحَنِيفِيَّة السَّمْحَة» «مسند أحمد بن حنبل» (٥/ ٢٦٦)، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «إنَّ هذا الدِّين يسرٌ ولن يشاد هذا الدِّين أحدٌ إلَّا غَلَبَه» «صحيح البخاري» [الإيمان] (٣٩) «سنن النسائي» [الإيمان وشرائعه] (٥٠٣٤).

وقال لمَّا بعثَ معاذًا وأبا موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إلى اليمن: «يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا» «صحيح البخاري» [الجهاد والسير] (٢٨٧٣)، «صحيح مسلم» [الأشربة] (١٧٣٣).

كنتُ أعملُ مُنَصِّرا وأسقفا[٥] للنَّصارى البروتستانت لأكثر من ٣٠ سنة، **وأخيرًا تعيَّنتُ رئيسًا** على كلِّ كنيسة في إحدى المدن بكاليمنتان وهي مدينة كُوْتَاي الغربية، وفي

فهذه الشريعة: شريعة التَّيسير، وشريعة المسامحة، وشريعة الرَّحمة والإحسان، وشريعة المصلحة الراجحة، وشريعة العناية بكل ما فيه نجاة العباد وسعادتهم وحياتهم الطيبة في الدنيا والآخرة.

فالله جلَّ وعلا بعثَ نبيَّنا وإمامَنا محمَّدًا عليه الصلاة والسلام بشريعة كاملة منتظمة للمصالح العاجلة والآجلة، فيها الدَّعوة إلى كلِّ خير، وفيها التَّحذير من كلِّ شرٍّ، وفيها توجيه العباد إلى **أسباب السَّعَادَة** والنَّجَاة في الدُّنْيا والآخرة» «مجموع فتاويه» (٢/ ٢٢٨).

(٥) «(الأسقف) (وتخفف الفاء) رئيس من رؤساء النصارى فوق القسيس ودون المطران (ج) أساقفة وأساقف» «المعجم الوسيط» (١/ ٤٣٦).

تلك الفترة حَصَلتُ على أموالٍ كثيرة مع مَنْصِب عالٍ، **وذلك غاية ما يبحثُ عنْهُ الأساقفة.**

وقد تزوَّجتُ ستَّ مرَّات ولم أُرْزق بولد قط، ولهذا أنفقتُ أموالي **في اللَّهو واللَّغو وأنهيتُها في طَاوِلات القِمَار.**

وفيما تبقَّى مِنْ حياتي أشعرُ بالقلق الشَّديد والهمِّ المزعِج لِمَا أنا عليه مِنَ الدِّيانة البروتستانتية، فَإِنَّها لا تأتي بالسَّكينة ولا الطُّمَأنينَة.

وقبل معرفتي بالإسلام قمتُ بالبحث والتَّتبع والمقارنة بين الأَنَاجِيل الموجودة لديَّ مع الأناجيل القديمة، **فوجدتُ تناقضات بين تلك الأناجيل**(٦)، بالإضافة إلى

---

(٦) فالله تعالى قَدْ أنزلَ إنجيلًا واحدًا على نبي الله عيسى ابن مريم عليه السلام: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ

ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [سُورَةُ]. ثمَّ أصبحت أربعة كُتِبت بعد المسيح عليه السلام بينها اختلاف كبير وتناقض بيِّن، وهذا ممَّا يدل على أنَّ الإنجيل الأصيل قد ضَاعَ وحُرِّف وبُدِّل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وأمَّا الأناجيل الَّتي بأيدي النَّصارى فهي أربعة أناجيل: (إنجيل متى) و(يوحنا) و(لوقا) و(مرقس) وهم متفقون على أن (لوقا) و(مرقس) لم يريا المسيح وإنما رآه (متى) و(يوحنا)، وأن هذه المقالات الأربعة التي يسمونها الإنجيل وقد يسمون كل واحد منهم إنجيلا إنما كتبها هؤلاء بعد أن رفع المسيح فلم يذكروا فيها أنها كلام الله ولا أن المسيح بلغها عن الله بل نقلوا فيها أشياء من كلام المسيح وأشياء من أفعاله ومعجزاته» «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٣/ ٢١).

أما القرآن العظيم فإنَّ الله تعالى تكفَّل بحفظه قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [سُورَةُ الْحِجْرِ].

- **قصة اليهودي الذي أسلم بَعد أَنْ حرَّف التَّوراة والإنجيل وحاولَ تحريف القرآن العظيم:**

ذكر الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسيره» (١٠/ ٦):

«كَانَ لِلْمَأْمُونِ - وَهُوَ أَمِيرٌ إِذْ ذَاكَ - مَجْلِسُ نَظَرٍ، فَدَخَلَ فِي جُمْلَةِ النَّاسِ رَجُلٌ يَهُودِيٌّ حَسَنُ الثَّوْبِ حَسَنُ الْوَجْهِ طَيِّبُ الرَّائِحَةِ، قَالَ: فتكلم فأحسن الكلام والعبارة، قال: فلمَّا أَنْ تَقَوَّضَ الْمَجْلِسُ دَعَاهُ الْمَأْمُونُ فَقَالَ لَهُ: إِسْرَائِيلِيٌّ؟

قَالَ نَعَمْ.

قَالَ لَهُ: أَسْلِمْ حَتَّى أَفْعَلَ بِكَ وَأَصْنَعَ، وَوَعَدَهُ.

فَقَالَ: دِينِي وَدِينُ آبَائِي! وَانْصَرَفَ.

قَالَ: فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ سَنَةٍ جَاءَنَا مُسْلِمًا، قَالَ: فَتَكَلَّمَ عَلَى الْفِقْهِ فَأَحْسَنَ الْكَلَامَ، فَلَمَّا تَقَوَّضَ الْمَجْلِسُ دَعَاهُ الْمَأْمُونُ وَقَالَ: أَلَسْتَ صَاحِبَنَا بِالْأَمْسِ؟

قَالَ لَهُ: بَلَى.

رغبتي في قضاء ما تَبَّقى من عمري في القرية الَّتي وُلِدْتُ فيها، فبعد مُضِي شهر واحد قرَّرْتُ الهجرة إلى تلك القرية وتركتُ العمل في الكنائس تحقيقًا لهذه الرَّغبة **وَطَلَبًا للسَّكينة والسَّعادَة.**

قَالَ: فَمَا كَانَ سَبَبُ إِسْلَامِكَ؟

قَالَ: انْصَرَفْتُ مِنْ حَضْرَتِكَ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَمْتَحِنَ هَذِهِ الأَدْيَان، وَأَنْتَ مَعَ مَا تَرَانِي حَسَنَ الْخَطِّ، فَعَمَدْتُ إِلَى التَّوْرَاةِ فَكَتَبْتُ ثَلَاثَ نُسَخٍ فَزِدْتُ فِيهَا وَنَقَصْتُ، وَأَدْخَلْتُهَا الْكَنِيسَةَ فَاشْتُرِيَتْ مِنِّي، وَعَمَدتُ إِلَى الإِنْجِيل فَكَتَبَ ثَلَاثَ نُسَخٍ فَزِدْتُ فِيهَا وَنَقَصْتُ، وَأَدْخَلْتُهَا الْبِيعَةَ فَاشْتُرِيَتْ مِنِّي، وَعَمَدْتُ إِلَى الْقُرْآنِ فَعَمِلْتُ ثَلَاثَ نُسَخٍ وَزِدْتُ فِيهَا وَنَقَصْتُ، وَأَدْخَلْتُهَا الْوَرَّاقِينَ فَتَصَفَّحُوهَا، فَلَمَّا أَنْ وَجَدُوا فِيهَا الزِّيَادَةَ وَالنُّقْصَانَ رَمَوْا بِهَا فَلَمْ يَشْتَرُوهَا، فَعَلِمْتُ أَنَّ هَذَا كِتَابٌ مَحْفُوظٌ، فَكَانَ هَذَا سَبَبُ إِسْلَامِي».

والخلاصة، ذهبتُ أنا وأحدُ طلَّابي الَّذي أوصلني إلى إحدى المَنَاطق المُتَخلِّفة النَّائية وهي منطقة "بَازِير"، علمًا بأنَّ ٩٠٪ من المجتمع يدينُ بدين الوَثَنيَّة والرُّوحيَّة، ولقد تركتُ المنطقة منذُ عشرات السنين ولكن وجدتُ الآن فيها تَغَيُّرًا نوعًا ما، وجدتُ فيها رهطًا مِمَّن اعتنقَ دينَ الإسلام، وَمِنْ ضِمْنهم والدُ المرأة الَّتي كانت زوجة لي - في نكاحي الثَّالث - فإنَّه قد أسلم.

ومن عادتي، فإني أُمارسُ الرِّياضة البدنيَّة في الصَّباح الباكر، أَجْري وأتجوَّلُ حول المنطقة، فقصدتُ بيت المرأة ومررتُ به، لأنِّي أريدُ أَنْ أعرفَ ما الَّذي حَدَث، فتحدَّثتُ مع أهل البيت وتناولنا النِّقاش، **وهُمْ كانوا أشرارًا سيِّئي الخُلُق ومع ذلك تغيَّرُوا تغيُّرًا جذريًّا**، تَظهرُ فيهم الأخلاق

الحسنة والمظاهر الإسلاميَّة.

فضيلة السيد الشيخ عبد الرَّزاق، قريتُنا قريةٌ متخلِّفةٌ وبعيدةٌ عَنْ تزاحم النَّاس، ومنذ عشرات السِّنين مَضَتْ لم يوجد أي داعية يدخلُ المنطقة ويدعو أهلها إلى الله، فسألتُهم مستغربًا عَنْ سبب دخولهم في الإسلام.

وحكوا أنَّ هناك شابًا **جاويا**(٧) جاء مِنَ المدينة إلى مَنْطِقَتِنَا ومعه آلة حجامة، **وَهُوَ يَعْمَلُ بِدِينه، وَبِسَبَب أَخْلَاقِه الكَرِيمَة وَحُسْنِ تَعَامُله مَعَهُم بَدَؤُوا يَتَعَلَّمُون مِنْه**(٨)، وفي

(٧) أي من جزيرة جاوة الإندونيسية.

(٨) قال العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «أمَّا كيفية الدَّعوة وأسلوبها فقد بيَّنها الله عز وجل في كتابه الكريم، وفيما جاء في سنَّة نبيه عليه الصَّلاة والسَّلام، ومِنْ أوضح ذلك قوله جل وعلا: ﴿

إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[سُورَةُ النَّحْلِ: ١٢٥]، فأوضح سبحانه الكيفية الَّتي ينبغي أَنْ يتَّصف بها الدَّاعية ويسلكها، يبدأُ أوَّلا بالحكمة، والمراد بها الأدلَّة المقنعة الواضحة الكاشفة للحق، والدَّاحضة للباطل، ولهذا قال بعض المفسرين: المعنى بالقرآن، لأنَّه الحكمة العظيمة، لأنَّ فيه البيان والإيضاح للحق بأكمل وجه، وقال بعضهم معناه بالأدلَّة مِنَ الكتاب والسنَّة، وبكلِّ حال، فالحكمةُ كلمة عظيمة، معناها الدَّعوة إلى الله بالعلم والبصيرة، والأدلَّة الواضحة المُقْنِعَة الكاشفة للحق، والمبيِّنَة لَه» «مجموع فتاويه» (١/ ٣٣٦).

مسألة: هل انتشر الإسلام بالسَّيف؟

جاء في «فتاوى اللجنة الدائمة» (١٢/ ١٤): «الإسلام انتشر بالحجَّة والبيان بالنسبة لمن استمع البلاغ واستجاب له، وانتشر بالقوة والسَّيف بالنسبة لمن عاند وكابر حتَّى غلب على أمره، فذهب عناده فأسلم لذلك الواقع».

البداية دخلتْ أسرتان في الإسلام ثمَّ بَلَغَ الآن ثلاثين أسرة (يساوي ٤٠ شخصا و١٨ طفلا) يتعلَّمونَ مِنْه دِينَ الإسلام.

وبعدما انتهينا مِنَ الحوار، أعطوني كُتَيِّبا بعنوان «**أَسْبَابُ السَّعَادَة**» من تأليف الشيخ عبد الرزاق، وَكتابًا بعنوان: [الحجامة سنَّة النَّبي ﷺ وإعجازٌ طبي].

وحينما رجعتُ إلى البيت تدبَّرتُ كُلَّ المعاني مِنْ صفحات الكتيِّب قبل النَّوم، ثمَّ لا أدري فإذا بي يقشعرُّ جلدي، ويوجل قلبي تعجُّبًا لِمَا فيه مِنَ البَيَان عَنْ السَّعَادَة الَّتي دائمًا أبحثُ عَنْها.

ولقد كنتُ أخطبُ أمام النَّاس عشرات السِّنين، ولم أجدْ كلامًا جميلًا إلَّا في هذه اللَّحظة، وَإنْ كنتُ لَا أَفهمُ بعض

المعاني مِنْ بعض العبارات في الكُتَيِّب إلَّا أنِّي فهمتُ المُرَاد والمَقْصُود مِنَ المُؤَلِّف.

وفي يوم الغد، ذَهَبْتُ لألتقي بعض الزملاء لِأَسأل: مَتَى يَأْتِي الشَّاب.

فإذا ذاك اليوم، وقد تواعدوا معه لاستقباله ثم إيصاله عبر النَّهر، لأنَّ طريق البَرّ مُوحلة بسبب هُطُول الأمطار الغزيرة.

وبعد أن التقيتُ به، أخبرتُه بنيَّتي وإرادتي بالدُّخول في الإسلام، وبِكلِّ يَقِين نطقتُ بالشَّهَادَتَيْن أمام ٨ رجال و٤ نساء، وإِنْ كنتُ وجدتُ صُعُوبةً في النُّطق بذلك لعدم اعتيادي بهذا النُّطق، فَلَمْ أستطعْ النُّطق الصَّحيح، فَلُقِّنتُ نُطْق الكلمة " لا إله إلا الله محمد رسول الله " ثمَّ أخذَ هذا الشَّاب بيدي بقوَّة

وعانقني وعيناي تذرفان، وقال لي: **لَقَدْ أَصْبَحْتَ أَخًا لِي فِي الإِسْلَام**(٩)**، فَافْرَحْ بِمَا وَعَدَنَا الله، بِأَنَّنَا سَنَلْتَقِي غدًا فِي جَنَّتِه، إِنْ أَطَعْنَا الله وَرَسُولَه** ﷺ(١٠).

وبعد ذلك، تحاورنا وتبادلنا الخبرات والتَّجارب، فسألتُه عَنْ مؤلِّف الكُتَيِّب، وأين يمكنني اللِّقاء به، وآريته الكتيب الَّذي معي، وفوجئت بأنَّ هَذَا الشَّاب لَمْ يلتقِ بالشيخ عبد الرزاق ولم يره مباشرة، وإنَّما قد استمع إلى محاضرته عبر الإذاعة فقط قبل رحلته إلى كاليمانتان، حتَّى

---

(٩) موقفٌ جميلٌ يجسِّد معنى قول الله عزَّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

(١٠) فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [سُورَةُ الفَتْحِ: ١٧].

وَإِنْ كانت للشيخ رحلات دعويَّة إلى جاكرتا، فإنَّه لَمْ يَسْتَطعْ حضور مجالس الشيخ العلميَّة لِعَدَم إمكانيَّاته الماديَّة.

وبعد أسبوعين، جاء هذا الشَّاب مرَّة أخرى بكتاب عنوانه: «طريقة موجزة في تعليم قراءة القرآن» وكذلك جاء بسبُّورة، وبشَّرني بأنَّ الشيخ عبد الرَّزاق سيأتي في شهر فبراير ٢٠١٢م إلى جاكرتا، فقلتُ له: هيَّا بنا نُسافرُ إلى جاكرتا، وعليَّ تكاليف السَّفر ولتكن معك أسرتك في السَّفر.

فرفض الشَّاب ما عرضتُ عليه وبيَّن سبب رفضه **وهو أنَّه يقوم بتعليم النَّاس دينَهَم ليس لأجل الحُصول على**

الأموال ولا زخارف الدُّنيا(١١)، إلَّا أنِّي أصررتُ على إعطائه قيمة تكاليف السَّفر إلى جاكرتا، وأخيرًا قبل مِنِّي ذلك واشترى التَذَاكر لسفرنا في فبراير ٢٠١٢م.

ومِنَ الجدير بالذِّكر أنَّ هذا الشَّاب الدَّاعية منذ سنتين في سيره للدَّعوة يَمرُّ بالجبال الشَّاهقة للوصول إلى هذه القرية لتعليم أهلها، ولم يكافؤوه إلَّا بشيءٍ مِنَ الأسماك والموز، **وأمَّا أنا فَقَدَّم لي جماعتي أموالًا في كلِّ أسبوعٍ.**

منذُ هذه اللَّحظة أتعلَّمُ مجتهدًا لمعرفة **مَحَاسِنَ**

---

(١١) أخي القارئ قارن كلام هذا الشَّاب الدَّاعية إلى الله مع ما قاله عبد الرحمن الإسلامي لمَّا كان قسيسا: «وفي تلك الفترة حصلتُ على أموالٍ كثيرة مع منصب عالٍ، وذلك غاية ما يبحثُ عنْهُ الأساقفة».

الإِسْلَام[١٢]، وعلى العموم لا يوجد أيَّ إكراه من قِبَل قبيلتي

---

(١٢) قال شيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله: «قال الإمام ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: لَوْ بُيِّن الإسلامُ وَمَحَاسنه للكفَّار لدخلُوا فيه أفواجًا.

وقد حدَّثني أحدُ الدُّعَاة الهنديين أنَّه أسلمَ على يديه (ألف شخص)، وطَرِيقَتِي أجلسُ إليه فأحادثه، فَلَا أزيدُ على ربع ساعة بذكر محاسن الدِّين، وأقصاه نصفُ ساعةٍ، هؤلاء (ألف) كلّ واحد على حدى» مِنْ أشرطة «شرح أصول وكليات من أصول التفسير وكلياته لا يستغني عنها المفسر للقرآن».

إنَّ موضوع محاسن الإسلام مِنَ المواضيع المُهمَّة الَّتي ينبغي أَنْ يعتني بها المسلم فضلًا عن الدَّاعية تعلُّمًا وتعليمًا، وقد اهتم علماؤنا بالكتابة في هذا الموضوع، نذكرُ بعضها:

- «الإِسْلَامُ دِينٌ كَامِلٌ» للعلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ.
- «مَحَاسِنُ الدِّينِ الإِسْلَامِيّ» للعلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

في اعتناق دين معيَّن، مهما كان الاختلاف في الأديان فلا بأس بذلك بشرط عدم الإزعاج على التَّقاليد والعادات السَّائرة في قبيلتنا، عِلمًا بأنَّ معظم أهل القبيلة على الدِّيانة الهندوسيَّة الوثنيَّة.

وفي صباح ذلك اليوم أحسستُ بألمٍ شديدٍ في جسدي بسبب مَرَض «**الفتق**» الَّذي أعانيه، فما استطعتُ تحريكَ رِجليّ، فساعدني أحدُ الجيران وقَامَ بإيصالي إلى أقرب مستوصف خارج القرية، فأُعطيتُ مِنَ الأَدْوية البسيطة الموجودة المتيسِّرة لديهم، لأنَّ العيادات الموجودة داخل

- «مِنْ مَحَاسِنِ الدِّين الإِسْلَاميّ» للعلامة عبد العزيز السلمان رَحِمَهُ اللَّهُ.
- «الشَّرِيعَةُ الإِسْلَامِيَّةُ وَمَحَاسِنُهَا وَضَرُورَةُ البَشَرِ إِلَيْهَا» للعلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ.

القرية ليس فيها طبيبٌ مُوَاظب، وإنَّما فيها طبيبٌ شعبيّ أو مُمَرِّضة شعبية تقوم بعملية الولادة.

وبعد أسبوعٍ جَاءَ الشَّاب الدَّاعية لأذهب معه إلى بيته بجانب المُصَلَّى ولأسكنَ عنده عدَّة أيَّام - **ولكن قدر الله وما شاء فعل**(١٣) - فما استطعتُ المشي، بل ولا القيام حينذاك، فقرأ عليَّ الشَّاب بعضَ الأدعية وطلب العَسَل والماء فشربتُهُمَا، وفي المساء تحسَّنتُ فاستطعتُ المشي بمشقَّة، ثم اعتذرتُ منه على عدم الحضور في درس تعليم

---

(١٣) ثبت في «صحيح مسلم» (٢٦٦٤)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلاَ تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيءٌ فَلاَ تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: **قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ**، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ».

قراءة القرآن فَعَذَرَني.

وقلتُ له: أنا لا أستطيعُ السَّفر إلى جاكرتا، ولا أستطيعُ مقابلة الشَّيخ فَأَرْجُو إبلاغ سلامي إلى الشيخ وأبلغ رسالة الشُّكر مِنِّي له(١٤)، وسأذهبُ إلى بيتِ صديقي في المنطقة الأخرى لمشاهدة محاضرة الشَّيخ المنقولة عبر البثِّ المباشر بالدُّش.

فَسَافَرَ الشَّابُ مع أسرته إلى جاكرتا...

وفي يوم الأحد ١٩ فبراير ٢٠١٢م فرحتُ فرحًا شديدًا لأنَّني رأيتُ وَجْهَكُم يا شيخ، وإِنْ كانت الشَّبكة ضعيفة ولم يكن التِّلفاز واضحَ الصُّورة إلَّا أَنِّي وَجَدتُه درسًا

(١٤) فقد كانت رسالة الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله من أهم الأسباب في إسلامه بعد توفيق الله تعالى.

عظيمًا مِنْ محاضرتكم وهو: «**إِذَا أَرَدْنَا نَيْلَ مَحَبَّة الله عَلَيْنَا تَقْدِيم امْتِثَال أَوَامره عَلَى كُلِّ شَيْء**»(١٥).

وددتُّ أَنْ أستزيدَ مِنَ الاستماع إلى محاضرتكم ولكن كما قلتُ أنَّ الشَّبكة ضعيفة: فالصَّوتُ والصُّورةُ متقطِّعة، ولم تكن واضحة، فخطر ببالي لماذا لم أُجْبِر نفسي للسَّفر إلى جاكرتا؟

فضيلة السيد الشيخ، منذ ذلك الحين فهمتُ حقيقة الحياة في نظر الإسلام، وهي أنَّ الحياة الدُّنيا فانية مؤقَّتة، وأمَّا الآخرة فهي البَّاقية الأبديَّة(١٦).

---

(١٥) كما قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «إيثارُ رضا الله عَلَى رضَا غيره وإِنْ عَظُمَت فيه المِحَن، وثَقُلَت فِيه المُؤَن، وضَعُفَ عنه الطَوْلُ والبَدَن» «مدارج السالكين» (٢/ ٢٩٩).

(١٦) كما قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «النَّاسُ منذ خُلِقوا لمْ يزالوا

وهناك حادثة تُحْزنني وتُؤْلمني، وهي أنَّ ذلك الشَّاب وهو في سيره للدَّعوة أمسكه بعض المسؤولين في القرية وفعلوا معه استجوابا وتحقيقا - ومع الأسف الشَّديد أن هؤلاء مسلمون - واتَّهمُوه بأنَّه جاء ليُعَلِّم التَّعاليم المُنْحرفة، لِذَا أمسكُوه ومنعُوه من الدَّعوة والتَّعليم، فجاء أحدُ إخواننا اسمه "ماريس" وهو أحد الأشخاص الكبار المعروفين في القرية وقد دخل في الإسلام، فبَيَّن لهم أنَّ الشَّاب إنَّما جاء ليُعَلِّم قراءة القرآن وكتابته.

ثم مضى شهران، ثم ثلاثة أشهر حتَّى مَضَتْ السَّنة ولم

مسافرين وليس لهم حطّ عن رِحَالهم إلَّا في الجنَّة أو النَّار، والعاقلُ يعلمُ أنَّ السَّفر مبنيٌّ على المشقَّة وركوبِ الأخطار، وَمِنَ المُحَال عادةً أَنْ يطلب فيه نعيم ولذة وراحة؛ إنَّمَا ذلك بعد انتهاء السَّفر.. » «الفوائد» (ص٢٠٠).

يأت ذلك الشَّاب إلى القرية مرَّة أخرى...

فضيلة السيد الشيخ عبد الرزاق، أرجُو بهذه الرِّسَالة وبوصولها إليكم أَنْ يأتيَ داعيةٌ أو معلِّمٌ إلى قريتنا، ونحن أيَّام كنَّا مُنَصِّرين ذهبنا إلى القرى البعيدة النَّائية، ولكن أمَّة الإسلام - **الَّذي قلتم هو دين الرَّحمة للعالمين** - لا أحدَ منهم يتحمَّل البقاء الطَّويل في القرى النَّائية.

وفيما تبقَّى مِنْ أواخر حياتي أرجو أنْ نلتقي في الجنَّة غدًا، فَإِنِّي أُعَاني مِنْ مرضٍ مزمن، قَدْ يقبضُ الله رُوحي بعد كتابة هذه الرِّسَالة(١٧).

---

(١٧) وقد مات رَحِمَهُ اللَّهُ، وحدَّثني شيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله أَنَّهُ ذكر قصَّته لأحد الفُضَلاء فحجَّ عنه، فجزاه الله خيرًا.

ومرَّة أخرى الشُّكر لكم وللإسلام[١٨].

عبد الرحمن الإسلامي

موارا أندية، ١٥ أغسطس ٢٠١٤م

(١٨) عبارتُه هذه تذكِّرنا بمقولة عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ، «قال ابن عيينة: قال رجل لعمر بن عبد العزيز: جزاك الله عن الإسلام خيرًا. قال: بل جزى الله الإسلام عَنِّي خيرًا» «سير أعلام النبلاء» (٥/ ١٤٧)، «حلية الأولياء» (٥/ ٣٣١).

أَسْبَابُ الخَيْرِ وَالسَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ

لفضيلة الشيخ
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

إعتنى بها وعلق عليها
أبو عبد العزيز منير الزاري

دار الفرقان
للنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إنَّ الحمد لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ بالله مِنْ شُرُور أنفسُنا وسيِّئات أعمالنا، مَنْ يهده الله فَلَا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلل فَلَا هَادِي له، وأشهدُ أَنْ لَا إِلَه إِلَّا الله وَحْده لَا شَرِيك لَه؛ إِلَهُ الأوَّلِين وَالآخِرِين وقَيُّومُ السَّمَاوَات والأَرَضِين، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عبدهُ ورسولهُ وصَفِيُّهُ وخَلِيلهُ وَأَمِينهُ عَلَى وَحْيِه؛ بَلَّغ الرِّسَالة وَأدَّى الأَمَانَة وَنَصَح الأُمَّة وَجَاهَد في الله حقَّ جِهَاده حَتَّى أَتَاهُ اليَقِين، فَصَلَوَاتُ الله وَسَلامُه عليه وَعَلى آله وَصَحْبه أَجْمَعِين.

أَمَّا بعدُ عبادَ الله معاشرَ المؤمنين: اتَّقُوا الله تَعَالى؛ فَإِنَّ مَنْ اتَّقَى الله وَقَاه وَأَرْشَدَه إِلَى خَيْر أُمُور دِينِه وَدُنْيَاه.

ثُمَّ اعلمُوا رَعَاكم الله: أَنَّ مِنْ حكمةِ الله جَلَّ وَعَلا

وَرحمته أَنْ جَعَل العِبَاد مُفْتَقِرين إلى جَلْبِ المَنَافع الدِّينِيَّة وَالدُّنْيَوِيَّة وَإِلَى دَفْعِ المَضَار الدِّينيَّة وَالدُّنْيَويَّة، واقتضتْ حِكمتُه وَمَضَتْ سُنَّتُه سُبْحانه أَنَّ هَذِه المَنَافعَ لا تُنالُ إِلَّا بِبَذْل الأسبابِ لنَيْلِها وَالمضارَ لَا تندفعُ إِلَّا بِبَذل الأَسْبَاب الَّتِي تَدْفَعُها، وَقَدْ بَيَّن جلَّ وَعَلا هَذِه الأَسْباب في كِتَابِه أَتَمَّ تَبْيين، وَبيَّنها رَسُولُه ﷺ في سُنَّته أَحْسنَ بَيَان؛ فَمَنْ سَلَك هذه الأَسْبَاب فَازَ بِكُلِّ مَرغوبٍ وَنَجَا مِنْ كُلِّ مَرْهُوب.

عِبَادَ الله: وَأَصْلُ أَسْبَابِ الخَير وَالسَّعَادَة[1] والفَلَاحِ في

---

(١) للعلامة الشيخ عبد الرَّحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ رسالة لطيفة بعنوان: «الوسائل المفيدة للحياة السعيدة» فانظرها غير مأمور.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

«سمعتُ شيخ الإسلام ابن تيمية قدَّس الله روحه يقول: أنَّ في الدُّنيا

جنَّة مَنْ لمْ يدخلها لا يدخل جنَّة الآخرة، وقال لي مرَّة: ما يصنعُ أعدائي بي؟ أنا جنَّتِي وبستاني في صدري إِنْ رحتُ فَهِي مَعِي لَا تفارقني، إنَّ حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي مِنْ بلدي سياحة، وكان يقول في محبسه في القلعة: لو بذلت ملء هذه القلعة ذهبًا ما عدل عندي شكر هذه النِّعمة أو قال: ما جزيتهم على ما تسببوا لي فيه من الخير ونحو هذا، وكان يقول في سجوده وهو محبوس: اللَّهُمَّ أعنِّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ما شاء الله، وقال لي مرة: المَحْبُوس من حُبِسَ قلبه عن ربه تعالى والمأسور من أسره هواه، ولمَّا دخل إلى القلعة وصار داخل سورها نظر إليه وقال: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾ [سُورَةُ الحَدِيدِ].

وعلم الله ما رأيتُ أحدًا أطيبَ عيشًا منه قط مع ما كان فيه مِنْ ضِيق العيش وخلاف الرفاهية والنَّعيم، بل ضدها ومع ما كان فيه مِنَ

الدُّنْيا وَالآخِرة تَحْقِيقُ الإيمَان وَالعَمل الصَّالِح وَفِي هَذَا آيٌ كَثِيرة ودَلَائلُ وَفِيرة، مِنْهَا قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [سُورَةُ النَّحْلِ].

الحبس والتَّهديد والإرهاق وهو مع ذلك مِنْ أطيبِ النَّاس عيشًا، وأشرحهم صدرًا، وأقواهم قلبًا، وأسرهم نفسًا، تَلُوح نضرة النَّعيم على وجهه، وكُنَّا إِذَا اشتدَّ بنا الخوف وساءت منَّا الظُّنُون وضاقت بنا الأرض أتيناه فما هو إِلَّا أنْ نراه ونسمع كلامه فيذهبُ ذلك كلّه وينقلبُ انشراحا وقوة ويقينا وطمأنينة، فسبحان مَنْ أشهد عباده جنَّته قبل لقائه وفتح لهم أبوابها في دار العمل فآتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها» «الوابل الصيب» (ص٦٧).

وَقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾﴾ [سُورَةُ].

وَقَوْلُه تَبَارَك وَتَعَالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾﴾ [سُورَةُ القَلَمِ].

وَقَوْلُه جلَّ وَعَلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾﴾ [سُورَةُ الكَهْفِ]، وَالآيَاتُ عِبَادَ الله في هَذَا المَعْنَى كَثِيرةٌ عَدِيدَةٌ.

وَمِنَ الأَسْبَاب العَظِيمَة المُبيَّنة في الكِتَابِ وَالسُّنَّة: تَحْصيلُ العُلُومِ النَّافعةِ؛ فَقَدْ جَعَل الله جَلَّ وَعَلا العِلمَ سَبَبًا لِرِفْعَةِ العبدِ في الدُّنْيَا وَالآخِرَة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ

ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾ ﴾ [سُورَةُ المُجَادِلَةِ]،

﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [سُورَةُ الزُّمَرِ :٩]، ﴿ أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبّٗا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيّٗا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [سُورَةُ المُلْكِ]، ﴿ أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾ [سُورَةُ الرَّعْدِ].

ثُمَّ إِنَّهُ جَلَّ وَعَلا جَعَل العِلْمَ لا يُنالُ إلَّا بِبَذْل أَسْبَابه المُوصِلَة إلى تَحْصِيلِه وَنَيْلِه؛ ومِنْ ذَلِك: حُسْنُ السُّؤال وحُسْنُ الطلب وحُسْنُ التعلُّم، يقول الله جلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن

كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [سُورَةُ النَّحْلِ].

وَفِي الحَدِيثِ يَقُولُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلَام: «**إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ**»(٢).

وَجَعَلَ جَلَّ وَعَلَا تَقْوَاهُ والحَرَكَةَ وتركَ الدَّعةِ والسُّكُونِ سببًا لِنَيْل الأَرْزَاق والخَيْرَات يقولُ جلَّ وعلا: ﴿ **وَمَن يَتَّقِ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ** ﴾ [سُورَةُ الطَّلَاقِ: ٢-٣].

وَيَقُول الله جلَّ وَعَلا: ﴿ **فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ** ﴾ [سُورَةُ المُلْكِ: ١٥].

---

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٢٦٦٣) وغيره، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٣٢٨).

ثُمَّ إنَّه جلَّ وَعَلَا جَعَل للتَّيْسير أَسْبَابًا عَدِيدَةً وَللتَّعْسِيرِ أسبابًا عديدةً بيَّنها في قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [سُورَةُ اللَّيْلِ].

وَجَعَل جلَّ وَعَلا حُسْنَ التَّوكُّلِ عَليه والقيامَ بعبوديتِه وطاعتِه سببًا لكفايته لعبدِه وتأييدِه لَه، قال الله جلَّ وَعَلَا: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [سُورَةُ الزُّمَرِ: ٣٦].

وقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [سُورَةُ الطَّلَاقِ: ٣].

وَجَعَلَ سُبْحَانه وَتعَالى الإِحْسَانَ بنوعيه - الإحسانَ إلى الله بِحُسْنِ العِبَادَة، والإحسانَ إلى الخلق بحسنِ المعاملَةِ - سببًا لنيل رحمته جلَّ وعلا، قال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ

ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [سُورَةُ الأَعْرَافِ]، وقال جلَّ وعلا: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ [سُورَةُ الرَّحْمَٰنِ].

وجعل جلَّ وَعَلَا العَوَاقِبَ الحَمِيدَةَ والمَآلاتِ الطَّيِّبَةَ والنَّتَائِجَ المُبَارَكَةَ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَة تُنالُ بِالصَّبرِ وَالتَّقْوَى، قال جلَّ وَعَلَا: ﴿ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [سُورَةُ طٰهٰ]، وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [سُورَةُ يُوسُفَ].

وَجَعَلَ سُبْحَانَه الدُّعَاء سَبَبًا لِنَيْلِ الخَيْرَات وَالفَوزِ بِعَظِيم العَطَايَا والهِبَات، وهُوَ جلَّ وَعَلَا لا يَردُّ عبداً دَعَاه وَلا يُخَيِّبُ مُؤْمِنًا نَاجَاه، وَهُوَ القَائِلُ سُبْحَانَه: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ

ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [سُورَةُ غَافِرٍ: ٦٠].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾ [سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ: ١٨٦].

وَجَعَلَ سُبْحَانَه لِلاسْتِغْفَار وَالإِكْثَار مِنْه ثِمَاراً عَدِيدَة وَخَيْرَاتٍ عَمِيمَة وَفَضَائِلَ مُتَعَدِّدَةٍ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [سُورَةُ نُوحٍ].

وَجَعَلَ سُبْحَانَه لِنَيْلِ مَغْفِرَتِه وَرَحْمَتِه وَالفَوْزِ بِرِضَاهُ

أَسْبَابًا عَظِيمَة جَمَعَهَا جَلَّ وَعَلَا فِي قَوْله: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ [سُورَةُ طٰهٰ].

وَجَعَلَ جلَّ وَعَلَا لِمُصَاحَبَةِ الأَخْيَارِ تَأْثِيراً، وَلِمُصَاحَبَةِ الأَشْرَارِ تَأَثِيراً، وَالمُؤْمِنُ مدعوٌّ لمصاحبةِ الأخيارِ ومجانبةِ الأشرارِ، وفي الحَدِيث يَقُولُ عَلَيْه الصَّلَاة وَالسَّلَام: «**الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ**»[٣].

وهكذا عبادَ اللهِ: مَنْ يَتَأَمَّلُ آيَ القُرْآن وَأَحَادِيثَ النَّبِيَّ عَلَيه الصَّلاة والسَّلام يَجِدُ أَنَّ الأمورُ مُرْتَبِطَةٌ بِأَسْبَابِهَا؛ فَلاَبُدَّ مِنْ بَذْل الأسبابِ النَّافِعَة وَالوَسَائِل المُفِيدَة المُقَرِّبَة لِنَيْلِ رِضَا الله وَالفَوْزِ بِخَيْرَاتِ الدُّنيا وَالآخِرَة، فَأَهْلُ

(٣) رواه أبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨)، وأحمد (٨٠٢٨)، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٥٤٥).

السَّعادة حَقًا وصِدقًا هُمْ البَاذِلُون للأسبابِ النَّافعة المُجَانِبُون لِلْأَسْبَابِ المُهْلكةِ، وَهُمْ فِي هَذَا كُلِّه مُعْتَمِدِينَ عَلَى الله مُتَوَكِّلِينَ عَلَيه وَاثقينَ به جلَّ وَعَلَا مُلْتَجِئِينَ إِلَيْه فِي كُلِّ أُمُورِهِمْ صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا دَقيقِها وَجَلِيلِهَا.

وأسألُ الله بأسمائه الحُسْنَى أَنْ يُوَفِّقَنا أَجْمَعِين لِفِعْلِ أَسْبَاب الخَيْر، وَأَنْ يُجَنِّبَنا أَسْبَابَ الشرِّ والفسادِ، وَأَنْ يُوَفِّقَنا لِحُسْنِ التَوكُّلِ عَلَيْه والثِّقَةِ به سُبْحَانَه، وَأَنْ لَا يَكِلَنا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرفَةَ عينٍ.

أقولُ ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنبٍ فاستغفروه يغفر لكم إنه هوُ الغفورُ الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله عظيمِ الإحسان، وَاسعِ الفَضْلِ والجُودِ والامْتِنَان، وأشهدُ أَنْ لَا إِلَه إِلَّا اللهُ وحده لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه؛ صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين وسلَّم تَسْليماً كَثِيرا.

أمَّا بَعد عبادَ الله: اتقوا الله تعالى، ثمَّ اعلموا - رَعَاكم الله - أَنَّ سَعَادةَ العَبْدِ وفلاحَه في الدُّنيا والآخرة تَرْتَكِزُ عَلى أَصْلَيْن مَتِينَيْن، وَأَسَاسَيْنِ عَظِيمَيْن عَلَيْهِمَا مَدَارُ السَّعَادَةِ ومُرتَكَزُها، أَلَا وَهُمَا:

- **التَّوَكُّلُ عَلَى الله وَحْدَهُ.**
- **وَبَذْلُ الأَسْبَابِ النَّافِعَةِ المُقَرِّبَةِ إِلَى اللهِ.**

وقد جُمِع بين هذين الأصلَين العظيمين في آياتٍ كثيرة

وأحاديثَ عديدةٍ في سنَّة النَّبِي ﷺ، مِنْهَا قَوْلُ الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [سُورَةُ الفَاتِحَةِ]، وَقَوْلُه جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [سُورَةُ هُودٍ: ١٢٣].

وَفِي الحَدِيث يَقُول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ**»(٤)، ويقول عليه الصلاة والسلام: «**لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا**»(٥)؛ وفي قوله: «**تَغْدُو خِمَاصًا**» إشارة إلى فعل الأسبابِ، وفي الحديث الآخر عندما سأله سائلٌ عَنْ ناقته أَيعقِلُها ويتوكَّلُ، أو يطلِقُهَا

---

(٤) رواه مسلم (٢٦٦٤).

(٥) رواه الترمذي (٢٣٤٤)، وابن ماجه (٤١٦٤)، وأحمد (٢٠٥)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٢٥٤).

ويَتَوَكَّلُ؟ قال ﷺ: «**اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ**»(٦)؛ فأرشدَه إلى فعل الأسباب وعدمِ الرُّكُون إليها، وإنَّما الاعتمادُ على الله والثِّقةُ بالله والتَّوكلُ على الله وحده؛ فبهذا - عبادَ الله - تُنالُ السعادةُ ويَتحققُ الفلاحُ في الدُّنيا والآخرة.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

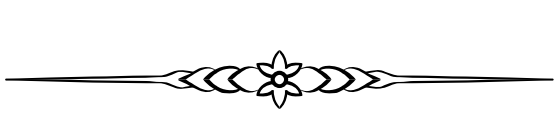

(٦) رواه الترمذي (٢٥١٧)، وحسَّنه الألباني في «تخريج أحاديث مشكلة الفقر» (٢٢).